هجران القرآن عند المسلمين

إعداد : م طارق حسن كسّار الأسدي
جامعة ذي قار كلية الآداب ـ قسم علوم القرآن

خلاصة البحث

إنّ فضل القرآن الكريم وشرفه ورفيع قدره وعلو مكانته أمر لا يخفى على المسلمين فهو كتاب الله ربّ العالمين وكلام خالق الخلق أجمعين فيه نبأ ما قبلنا وخبر ما بعدنا وحكم ما بيننا هو الفصل ليس بالهزل . وهو الصراط المستقيم الذي لا تزيغ به الأهواء ولا يشبع منه العلماء ولا تنقضي عجائبه إلى غير ذلك ممّا لا يمكن أن نحصيه.

لكن مع الأسف نجد إن هذا القرآن العظيم قد هُجر من قبل المسلمين ، وقد ذكرنا في مقدمة هذا البحث (هجران القرآن عند المسلمين) أن حالة الهجر للقرآن الكريم قائمة وأوردنا بعض الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة حول ذلك ، ثمّ ذكرنا انه كيف بالأمة الإسلامية أن تحقق النصر وهي معرضة عن القرآن الكريم .

ثم تطرقنا إلى إهتمام الرسول الأكرم (ص) بالقرآن والحث على تلاوته والعمل به ، وكيف أن خلقه خلق القرآن وقد ذكرنا جملة من الآيات الكريمة والآيات الشريفة حول هذا الجانب .

ثم تناولنا الهجر لغة وإصطلاحاً مسنداً ذلك بالشواهد من كتب التفسير واللغة وبعد ذلك تحدثنا عن كلمة (هجر) في القرآن الكريم ومعانيها التي وردت في الآيات المختلفة من قبيل : الترك والإعراض والإفحاش والإنتقال من بلد إلى آخر والانفراد والعزلة . ثم أدرجنا بعض الروايات من السنة الشريفة التي تحثت عن أهمية القرآن الكريم وبعد ذلك تطرقنا إلى أنواع الهجر وهو أما هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه أو هجر تحكيمه والتحاكم إليه أو هجر تدبره أو هجر الإستشفاء والتداوي به ، ثم تحدثنا عن مظاهر عديدة في مجتمعنا توضح لنا هجر المسلمين للقرآن الكريم .

ثم تناولنا أسباب هجر القرآن الكريم وذكرنا منها الإصرار على الذنوب والتشاغل عن الاستماع والانشغال بالدنيا والطرق الخاطئة في التدريس إضافة إلى عدم اهتمام الأسرة بالقرآن وغير ذلك .

وبعد ذلك تطرقنا إلى دور أعداء الإسلام في محاربة القرآن وباعتبار ان هذا موضوعاً مهماً فقد أفردناه بعنوان مستقل عن أسباب هجران القرآن لما له من الدور الكبير في انحراف المسلمين وعدم توجههم للقرآن بسبب الأساليب الخبيثة التي استخدمها أعداء المسلمين في محاربة القرآن وقد أوضحنا جملة من هذه الأساليب الملتوية .

وفي نهاية الموضوع وبعدما تطرقنا إلى حالة هجران المسلمين للقرآن وإنها مشكلة كبيرة ولا بد من حلّها ، لذلك أدرجنا بعض النقاط التي يمكن أن تكون كفيلة لعلاج حالة الهجران هذه لكي نكون فعلاً مسلمين ولدينا كتاب كريم اسمه القرآن . والذي لا بد للمسلمين من التوجه إليه والعمل به لكي يكونوا أمة قوية تواجه ما يحاك لها من مؤامرات وخدع تحاول الإساءة للدين الإسلامي .

المقدمة

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « سيأتي على أمتي زمان لا يبقى من القرآن إلاّ رسمه ولا من الإسلام إلاّ اسمه» [1]. وعن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: « ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل : مسجد خراب لا يصلى فيه أهله ، وعالم بين جهّال ، ومصحف معلق قد وقع عليه الغبار لا يقرأ فيه ، يقول الله عز وجل على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسم (وقال الرسول يا ربّ إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) [2] .

إن من أهم ما أبتليت به الأمة وأدى إلى بروز كثير من الأزمات وظهور العديد من الظواهر السلبية والمشكلات « حالة هجر القرآن » التي سقطت فيها من كانت تدعى (أمة القرآن) وتردّت فيها حتى ألفتها فتحولت إلى حالة متأصلة ، وظاهرة ملازمة دون أن يشعر الكثيرون بها. فالكثيرون يرون أنّ العلاقة بين القرآن والمسلمين ماتزال علاقة قوية متينة ، إذ ما من دولة من دول المسلمين إلا وهي تقوم بطبع القرآن الكريم وتوزيعه بأعداد تقل أو تكثر ، وتقوم في الكثير منها مدارس لتحفيظ القرآن الكريم والعناية به ، وتقدم دروساً قرآنية في مراحل التعليم بأشكال كثيرة وترصد الجوائز لحفظ القرآن وتجويده ، وخصصت المحطات القرآنية والفضائيات لترديد آياته .

وبالتاي فإن بعض الناس بل أغلبهم لا يستطيعوا أن يلمسوا أو يسلموا بأن هناك حالة هجر بين القرآن والمسلمين الذين هم الأمة التي تكونت بهذا القرآن خاصة وهم يسمعون آيات الكتاب الكريم صباحاً ومساءاً إن شاؤوا تنطلق من العديد من الفضائيات والمحطات الإذاعية المتخصصة بالقرآن الكريم أو المشتركة مع برامج أخرى . ولذلك فإن حالة الهجر هذه قد لا يسلم الكثير بوجودها .

لكن مع ذلك فإنها في حالة هجر للقرآن الكريم من حيث العمل به وتدبر معانيه ودلالاته ، ومعرفة المراد منه وبناء الحياة بمقتضاه وان انشغلت ألسنتها

وأسماعها به . فذلك لا يخرجها من الاتصاف بحالة الهجر ولن تخرج من ذلك حتى تصبح صلتها به ألفاظاً ومعاني وتأويلاً وتطبيقاً ومعايشة كاملة ، فزوال وجه من أوجه الهجر لا يخرجها من صفة الهجر .

ونؤكد ان حالة الهجر قائمة ، والدليل عليها سائر المظاهر السلبية التي تنتشر في كياننا الاجتماعي كله ، وتنخر في سائر جوانبه من انحرافات في العلاقات بين الحاكم والمحكوم ، وخروج عن موازين العدل والأمانة في كثير من النظم ، واضطراب في برامج التعليم والتنمية والاقتصاد والعلائق الاجتماعية ، وفساد في الاخلاق ونظم الحياة على إختلافها .

والقرآن - اليوم - قد كثر قراؤه وقل الفاقهون فيه ، وكثرت خطوطه ونافس بعضها بعضاً في الجمال والاستقامة وقل متدبروه . وكثرت فضائياته وإذاعاته وقل مرتلوه . وتوثقت العلاقة بألفاظه وأهملت روحه ومعانيه ، وكثر المنادون به وقل التالون له حق تلاوته المنفعلون به الذين يجعلونه نبراس حياتهم ومنطلق شهودهم وشهادتهم ، وعطلت حاكميته وأهملت شريعته .

ونحن نعجب من أمة تهجر كتاب ربها وتعرض عن سنة نبيها وأئمتها ، ثم بعد ذلك تتوقع أن ينصرها ربها ؟ إن هذا مخالف لسنن الله في الأرض . إن التمكين الذي وعد به الله والذي تحقق من قبل لهذه الأمة كان بفضل التمسك بكتاب الله عز وجل الدستور الرباني الذي فيه النجاة مما أصابنا الآن . ان الذين يحلمون بنزول النصر من الله لمجرد أننا مسلمون لواهمين . ذلك ان تحقق النصر له شروط .

قال تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كم استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فاؤلئك هم الفاسقون) [٣] . كما ان ما بعد النصر له شروط . قال الله تعالى (الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) [٤]

فبالعودة الى كتاب ربنا ننال نصره في الدنيا وندخل جنته في الآخرة .

- أهمية القرآن في السنة الشريفة

كان خلق رسول الله (ص) القرآن وهذا يمكن تعميمه في جميع جوانب الحياة فقد كانت عقيدته القرآن. وإذا سئلنا عن تصوُّره فقد كان تصوره القرآن. وإذا سئلنا عن شريعته فقد كانت شريعته القرآن. وإذا سئلنا عن علمه فقد كان علمه القرآن. وإذا سئلنا عن عبادته فقد كانت عبادته القرآن. وإذا سئلنا عن سنّته وسيرته فإنَّ سنّته وسيرته هي القرآن. فالقرآن المجيد كان حاضراً جليلاً كان أم دقيقاً، وكان حاضراً مهيمناً بقوة في كل شأن من شؤون رسول الله دون تفريق بين ما يعد شأناً دنيويّاً أو شأناً أخرويّاً، ؛ ولذلك كان القرآن المجيد مستقراً في قلوب المسلمين الأوائل حاضراً في المشاعر والوجدان، متحرِّكاً في جوانب الحياة المختلفة. كانوا يقرأون ألفاظه فينزلونها على قلوبهم قبل ألسنتهم، ويديرونها في عقولهم وقلوبهم قبل أفواههم، ويكيّفون بها واقعهم قبل أن يقوموا بزخرفتها وطباعتها بأجمل الخطوط وأحسن الأوراق؛ لأنَّهم أدركوا أنَّ هذا القرآن إنَّما أنزل ليكون مرشد الإنسان وقائده لأداء مهامّه كلّها ابتداءاً من العهد الذي بين الله وبينه في عالم الذر(وإذ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شهدنا) [٥] ثم ميثاق الخلافة في عالم الاستخلاف(واذ قال ربك للملائكة اني جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أعلم ما لا تعلمون) [٦] ، ثم مرحلة الالتزام بالأمانة عند عرض الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها ولما عرضت على الانسان قبلها ورضي الالتزام بها (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً) [٧] ثم قبول الانسان مبدأ الابتلاء في مرحلة الابتلاء (الذي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاة لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) [٨] ثم مرحلة الجزاء الاخروي (وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) [٩]

في هذه المرحلة يفترق الناس إلى فريقين: فريق في الجنة وفريق في السعير. كما أدركوا جميعاً أنَّ هذا القرآن هو الهادي للتي هي أقوم في سائر مراحل الحياة، والمنير لكل سبلها، هو دليل هادٍ ملازم ضروريٌّ للبشر، لا ينفصل عن حياتهم لئلا يضلُّوا، كما لا يمكن فصله عن الكون والأرض التي استخلف الإنسان فيها. وبالتالي فقد كان القرآن يشكل بالنسبة لهم الروح وآفاقها، والنفس وجوانبها، والحياة بكل ما فيها، والوجود بكل عناصره وما يعتمل فيه، فإذا قرأوه استدعوا وهم يقرؤونه ذلك كلّه ، لاحظوا الصلة بين القرآن وبين كل ذلك والتفاعل الذي يمكن أن يتم بينه وبين سائر تلك العناصر فيجتمع لهم وهم يقرؤونه استحضار أنفسهم وذكرها وتذكيرها، واستحضار الكون وما سخر الله فيه للإنسان، والمهام التي تنتظر الإنسان وهو يتحرك في هذه الأرض إلى أجل مسمى؛ فذكروا الله وذكروا أنفسهم، وذكروا البشريَّة الممتدة ما بين عالم العهد وعالم الجزاء، وذكروا الكون فبرزت لهم عظمة الخالق العظيم، وتحققت لهم حالة الشهود، وفارقوا حالة الغياب التي يتيه فيها الغافلون.

وكان الرسول (ص) يحث أصحابه وأمته من بعده على العمل بالقرآن العظيم ويؤكد على ذلك بصور مختلفة مرة بالترغيب في ثواب العمل بالقرآن وأخرى بالترهيب من مغبة ترك العمل بالقرآن .

فعن النبي (ص) « المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب ، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالثمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة

ريحها طيب وطعمها مرّ ، ومثل الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مرّ أو خبيث وريحها مرّ » [١٠]

لذلك فإن قراءة القرآن لا ترتفع الى الله ولا تزكو عنده وإنما يزكو عنده مأأريد به وجهه وكان نيته التقرب إلى الله تعالى ، وشبّه المنافق بالريحانة حيث لم ينتفع ببركة القرآن ولم يفز بحلاوة أجره فلم يجاوز الطيب موضع الصوت .

فالقرآن العظيم لا تنفتح أسراره ولا ينتفع به إلا من يعمل به لا لمن يقرؤه لمجرد التبرك أو الدراسة الفنية أو العلمية ، فالقرآن لم ينزل ليكون مادة دراسة على هذا النحو ، وإنما تنزل ليكون مادة عمل وتوجيه. قال رسول الله (ص) : « القرآن شافع مشفع وماحل مصدق من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار » [١١] ومعنى الحديث أن من أتبع القرآن وعمل بما فيه فانه شافع له مقبول الشفاعة في العفو عن زلاته فممن جعله أمامه بالعمل به قاده إلى الجنة ومن ترك العمل وجعله خلف ظهره أثم على إساءته وعند ذلك يسوقه إلى النار .

فهذه الأحاديث الشريفة وغيرها تدل دلالة واضحة على ضرورة تلاوة القرآن ووجوب العمل به ، فأين نحن من هذه التحذيرات حتى نفوز بسعادة الدنيا والآخرة ؟

وقد أكدت السنة الشريفة على أهمية تلاوة القرآن الكريم وتوجد أحاديث عديدة بهذا الخصوص .

فقد قال رسول الله (ص) :

« لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة [١٢]

وتوجد روايات عديدة في كتب الحديث والتفسير وغيرها تتحدث عن هذا المضمون . وفي الوقت نفسه أكدت السنة الشريفة على ضرورة تعلم القرآن والعمل به .

ففي كتاب عقاب الأعمال للشيخ الصدوق وبسنده إلى رسول الله (ص) قال : « من تعلم القرآن فلم يعمل به وآثر حب الدنيا وزينتها استوجب سخط الله وكان في الدرجة مع اليهود والنصارى الذين ينبذون كتاب الله وراء ظهورهم .

ومن قرأ القرآن يريد به سمعة والتماس دنيا لقي الله يوم القيامة ووجهه عظم ليس فيه لحم وزج القرآن في قفاه حتى يدخله النار ويهوى فيها من هوى .

ومن قرأ القرآن ولم يعمل به حشره الله يوم القيامة أعمى فيقول (يارب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) فيؤمر به الى النار .

ومن قرأ القرآن ابتغاء وجه الله وتفقهاً في الدين كان له من الثواب مثل جميع ما أعطي الملائكة والأنبياء والمرسلون ومن تعلم القرآن يريد به رياء وسمعة ليماري به السفهاء ويباهي به العلماء ويطلب به الدنيا بدد الله عظامه يوم القيامة ولم يكن في النار أشد منه عذاباً وليس نوع من أنواع العذاب إلا يعذب به من شدة غضب الله عليه وسخطه . ومن تعلم القرآن وتواضع في العلم ، وعلّم عباد الله وهو يريد ما عند الله لم يكن في الجنة أعظم ثواباً منه ولا أعظم منزلة منه ولم يكن في الجنة منزلاً ولا درجة رفيعة ولا نفيسة إلا وكان له فيها أوفر النصيب وأشرف المنازل » [١٣]

الهجر لغة وإصطلاحاً

الهجر زقد هجره: ضد الوصل ، والتهاجر : التقاطع . [١٤]

وهجره هجراً وهجراناً بالكسر : صَرَمه وقطعه ، وهجر الشيء يهجره هجراً : تركه وأغفله وأعرض عنه [١٥]

وهاجر القوم من دار إلى دار تركوا الأولى للثانية كما فعل المهاجرون حين هاجروا من مكة إلى المدينة [١٦]

قال أبو عبيد : يروى عن ابراهيم في قوله تعالى (ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) قال : قالوا فيه غير الحق . ألم تر الى المريض اذا هجر قال غير الحق [١٧]

وفي حديث ابي الدرداء : ولا يسمعون القرآن الا هجراً يريد الترك والاعراض عنه يقال : هجرت الشيء هجراً اذا تركته واغفلته [١٨]

والمهاجر من هجر السوء [١٩]

وقال تعالى (واهجرهم هجراً جميلاً) [٢٠]

الهجر الجميل : ان يخالفهم بقلبه ويؤالفهم في الظاهر بلسانه ودعوته الى الحق بالمداراة وترك المكافاة .

قوله تعالى (ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) أي متروكا لا يسمع

وفي الخبر (اذا طفتم بالبيت فلا تلغوا ولا تهجروا) أي لا تفحشوا ولا تخلطوا في كلامكم

وفي الحديث (لا ينبغي للنائحة ان تقول هجراً) أي فحشاً ولغواً [٢١]

وتوجد في كتب اللغة معاني كثيرة حول كلمتي الهجر والهجران لكنها القدر المتيقن منها هو ان المقصود منهما الاعراض عن الشيء وتركه . ويمكن ان يقال - وخاصة في زماننا هذا - ان المقصود هو ماقد يقال في القرآن من غير الحق . ولكن بحثنا يختص بالقول الاول أي الاعراض عن القران وتركه .

(مهجوراً) أي تركوه ولم يؤمنوا به ، وقيل : هو من هجر إذا هذي ، أي جعلوه مهجوراً فيه ، أي زعموا أنه هذيان وباطل ، أو : هجروا فيه حين سمعوه كقوله : (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) [٢٢]

الهجر في القرآن الكريم

وردت مادة (هجر) وهو مايشتق منها في موارد عديدة في القرآن الكريم نذكر بعضها حسب مواردها :

١ - ماجاء بمعنى الترك والإعراض وذلك في قوله تعالى (وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) والمعنى أنهم تركوا القرآن فاعرضوا عنه ولم يؤمنوا ولم يعملوا بما فيه .

وأيضاً في قوله تعالى (مستكبرين به سامراً تهجرون)[٢٣] أي تعرضون عن النبي (ص) أو الإيمان أو القرآن وتتركون ذلك كله[٢٤]

٢ - بمعنى الإفحاش في القول قال تعالى (سامراً تهجرون) من الاهجار وهو الافحاش في القول بمعنى تفحشون في الكلام وذُكر أنهم كانو يسبون النبي (ص)[٢٥]

٣ - الانتقال من بلد إلى آخر لأجل الدين وتوجد آيات كثيرة منها قوله تعالى (فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي)[٢٦] فقوله فآمن له لوط أي صدّق إبراهيم لوط وهاجر معه والضمير في (قال) عائد إلى إبراهيم أي أعلن انه مهاجر ديار قومه وذلك لأن الله أمره بمفارقة أهل الكفر وهو أول من هاجر في سبيل الله تعالى[٢٧]

٤ - بمعنى الإنفراد والعزلة (واهجرهم هجراً جميلاً) فالهجر الجميل هو ترك المخالطة فلا يقرنها بجفاء أو أذى ، ولما كان الهجر ينشأ عن بغض المهجور أو كراهية أعماله كان معرضاً لأن يتعلق به أذى من سب أو ضرب أو نحو ذلك ، فأمر الله رسوله بهجر المشركين هجراً جميلاً ولا يزيد على هجرهم سباً أو انتقاماً[٢٨]

أنواع الهجر

ورد في تفسير مجمع البيان : « (وقال الرسول) يعني محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يشكو قومه (يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) يعني هجروا القرآن وهجروني وكذبوني ، عن ابن عباس . والمعنى : جعلوه متروكاً لا يسمعونه ولا يتفهمونه[٢٩]

و هَجْرِ القرآن على أضرب: مِن الناس مَن يهجر العمل به ، ومنهم من يهجر تلاوته؛ فيقدم صحف ومؤلفات البشر على كلام رب البشر، يسهر على المذكرات يُعللها ويلخص فوائدها وليس بها فوائد، لكنَّ كتاب الله يشكوه إلى الله، كتاب الله يشكونا، هجرناه وأهملناه وضيعناه وخالفنا أوامره و نواهيه ، قرآننا صار يشكو ما قرأناه .

ثم خلف من بعد ذلك خلف أضاعوا هذه القيم، ولم يهتموا بكتاب ربهم. هان الله في نفوسهم، فأهانهم الله بما اقترفوه من ذنوب. وقد ضرب لنا القرآن المثل على الأمة التي تضيع العمل بكتابها، فقال تعالى مخبراً عن بني إسرائيل، والخطاب للتذكرة والتحذير: (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاّ الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ)[٣٠] حيث ان اليهود قد خلفهم خلف سوء، ورثوا التوراة عن أسلافهم، ولم يلتزموا بما أُخذ عليهم فيها من عهود، على الرغم من قراءتهم لها. فقد آثروا الدنيا على الآخرة، فاستباحوا الربا والرشا وسائر المحرمات، ويدّعون أنهم سيغفر لهم. وكلما أتاهم مال حرام أخذوه، ومنوا أنفسهم بالمغفرة كذبا على الله تعالى وقد قرأوا في كتابهم ألا يقولوا على الله إلا الحق وفهموه، ومع هذا يجترئون على الله ويكذبون عليه بأنه يغفرلهم.

وقال القرطبي في تفسيره: وهذا الوصف الذي ذم الله تعالى به هؤلاء موجود فينا. فقد روى الدارمي في سننه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سيبلى القرآن في صدور أقوام كما يبلى الثوب، فيتهافت، يقرءونه لا يجدون له شهوة ولا لذة، يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب، أعمالهم طمع لا يخالطه خوف، إن قصروا قالوا سنبلغ، وإن أساءوا قالوا سيغفر لنا، إنا لا نشرك بالله شيئا[٣١]

وقد ذكر ابن القيم بأن هجر القرآن أنواع : «أنواع هجر القرآن وهي :

١ - عدم الاستماع والإصغاء إليه إذا تلي، وإكثار اللغط والكلام عند تلاوته حتى لا يسمع

٢ - ترك الإيمان به وعدم التصديق

٣ - هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه

٤- ترك العمل به فلا تمتثل أوامره ولا تجتنب نواهيه .

٥ - هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم.

٦ - هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به.

٧ - العدول عن سماعه إلى سماع آلات اللهو والغناء والطرب

٨ - الحرج الذي في الصدور ، فانه تارة يكون حرجاً من انزاله وكونه حقاً من الله تعالى ، وتارة يكون من جهة المتكلم أو كون مخلوقاً من بعض مخلوقاته ألهم غيره ان تكلم به ، وتارة يكون من جهة كفايته وعدمها وان لا يكفي للعباد» . ٣٢

وجميع هذه الأنواع من هجر القرآن واقعة بيننا ومتفشية فينا الآن. ومن صور هذا الهجران ما يلي:

- عدم قراءته. فمن منا يقرأ القرآن يوميا؟ إن القرآن مقسم إلى ثلاثين جزء، ومتوسط كل جزء عشرون صفحة. فهل من الصعب قراءة عشرين صفحة يوميا؟ إنه أمر لا يستغرق منك سوى نصف ساعة. إن قراءة الصحف اليومية تستغرق من المرء أكثر من ساعة يوميا، فهل قراءة تلك الصحف أهم من قراءة القرآن؟
- وسماع القرآن ... لقد استبدلناه بسماع الأغاني ومشاهدة الأفلام والتمثيليات ومتابعة المباريات.
- وأخلاقنا الآن في وادٍ وما ينادي به القرآن من التحلي بقويم الأخلاق في وادٍ آخر.
- ونعرف حلاله وحرامه ولا نقف عندهما، بل نتفاخر بالتملص منهما، ونصف من يلتزم بهما بالسذاجة وقلة الخبرة.
- وتعلمنا كيف نجادل لا لإثبات تعاليم ربنا ولكن لكي نتفلت منها، ونعمل بغيرها. ظننا أن التقدم الخادع الذي أحدثته الأمم من حولنا إنما مرجعه للتخلي عن الدين،

فلما تخلينا عن ديننا انحرفنا وزغنا عن طريق التمكين.

- التخلي عن التحاكم إليه في حياتنا وفي معاملاتنا.
- تركنا فهم معانيه ومن ثم تدبر آياته، وأصبح معظم ما نعرفه عنه عكس المراد به.
- تركنا تعلم لغته ولجأنا إلى لغات المستعمر، وأصبح تجنب الحديث باللغة العربية والرطانة بهذه اللغات مصدر فخر وإعزاز بيننا.
- تركنا التداوي به ولجأنا إلى الاعتماد على الأسباب المادية فقط.

واستمر خط الابتعاد عن كتاب الله يمضي قدما، بطيئا وبشكل يخفى عن العامة في أول الأمر، ثم بخطى متسارعة وبصورة سافرة بعد ذلك. فبعد أن كانت الأمة مجمعة الكلمة على العمل بكتاب ربها، وتستمد تشريعاتها من أحكامه، بدأت في التخلي عنه شيئا فشيئا، فعاقبها الله بأن سلبه من يدها، إلى أن أصبحت لا تعمل به.

ويحمل الشيخ المطهري في كتابه محاضرات في الدين والاجتماع المسؤولية في هجر القرآن الجيل القديم حيث انه قد أعرض عن القرآن ويقول بهذا الصدد : « إذا كان شخصاً ما عليماً بالقرآن أي إذا تدبر في القرآن كثيراً ودرس التفسير تفسيراً عميقاً فكم تراه يكون محترماً بيننا ؟ لا شيء . أما إذا كان هذا الشخص قد قرأ كفاية الملا كاظم الخراساني فإنه يكون محترماً وذا شخصية مرموقة وهكذا ترون ان القرآن مهجور بيننا [٣٣]

ونرى اليوم كيف يحتفي المسلمون بالشعراء ولاعبي الرياضة ، كمثل ما حصل في العراق حيث خرجت الناس عن بكة أبيها بسبب فوز العراق بأحد البطولات الآسيوية بكرة القدم وهي محتفلة بالفوز ، بينما نرى المساجد مهجورة وفي المحافل القرآنية قلما يجتمع المسلمون لتلاوة القرآن وتعلم أحكامه .

مظاهر هجر القرآن الكريم :

يعدّ هاجراً للقرآن الكريم كل من لم يعرف قدره ويؤمن بذلك إيماناً قاطعاً يربط به على قلبه بأنَّ هذا القرآن المجيد هو المحجة البيضاء والمنهج الذي يهدي للتي هي أقوم في سائر الشؤون والشجون، وأنَّه حبل الله المتين وصراطه المستقيم وأنه الكتاب المهيمن على ما سبق وما لحق، والمرجع للتصديق وإثبات الحق ونفي الباطل في سائر تراث الإنسانيَّة ورسالات النبيِّين ومعطيات الحضارات.

ويعد هاجراً للقرآن من لم يؤمن إيماناً قاطعاً بأنَّه هدى للمتقين وبشرى للمؤمنين نزله على قلب نبيِّه هدى للناس كافَّة وبيّنات من الهدى والفرقان. وأن الله مصدِّقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين

ويعد هاجراً للقرآن من لم يوقن قلبه بأنَّه كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير. وأنَّه كتاب فصَّله الله على علمه فهو محيط بالوجود وحركته، مستوعب للإنسان واحتياجاته

ويعد هاجراً للقرآن من لم يوقن قلبه وعقله ووجدانه بأن هذا القرآن أنزل بالحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور. وأنَّه لا ريب فيه ولا اختلاف فيه بالحق أنزله الله وبالحق نزل، وأنَّه نزل ؛ ليكون من المنذرين

ويعد هاجراً للقرآن من لم يمتلئ قلبه بحبه، والتعلُّق بكل حرف فيه والايمان التام بأن(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هاد) [٣٤] وأنَّه شفاء لما في الصدور، وأنَّ كل آية فيه إنَّما هي آيةتامةمثل الشمس ومثل القمر ومثل أي آية من آيات الله وأنه نزل بالحق والميزان والشرعة والمنهاج ، وأنه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم .

ويعد هاجراً للقرآن من لم يؤمن الإيمان -كلّه- بأن الله هذا القرآن كاف للبشريَّة بمنطوقه ومكنونه وبكليّاته وتفصيلاته لو أحسنت البشريَّة التفكر فيه والتدبُّر لآياته، وأدركت أنَّه لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله، فالقلوب التي لا تخبت وهي تتلوه، ولا تخشع وهي تسمعه، ولا ترقُّ وهي ترتله ولا تلين وهي تقرؤه، إنَّما هي قلوب قاسية،

ويعد هاجراً للقرآن من لا يؤمن ويوقن بأنَّه واجب الإتِّباع وسبيل التزكية ومنبع الحكمة والبركة، وأنَّه الكتاب المبين والقرآن الحكيم دليل المتقين ومرشد المؤمنين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا ريب فيه صرَّف الله فيه للناس من كل مثل .وضرب الله فيه للناس من كل مثل ليحملهم على التفكُّر والتدبُّر.

ويعد هاجراً للقرآن من لم يوقن بأن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وأن إتباع غيره موصل إلى الضلال. ويعد هاجراً للقرآن من لم يؤمن بأن هذا القرآن كافٍ للمؤمنين لهدايتهم وتوحيد كلمتهم وإصلاح أوضاعهم وإحاطتهم بالرحمة وشمولهم بالمغفرة (أو لم يكفهم أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً) [٣٥] .

ويعد هاجراً للقرآن من الذي لا يفهم (وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون) أو الذي لا يسمع له ولا ينصت ولا يسجد إذا قرئ عليه ولا تزيده آياته إيماناً ولا يخشع قلبه حين يسمعه أو يتلوه، ولا يجعل القرآن وبينه وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً.

ويعد هاجراً للقرآن من لم يؤمن بأنَّ هذا القرآن قد قص على الأمم أكثر الذي كانوا فيه يختلفون فهو مرجع البشريَّة -كلّها -لحسم الاختلافات الأساسيَّة لا يمكن أن يكون المؤمنون على شيء حتى يقيموا القرآن ويتشبثوا بمنهجه ويؤمنوا بعصمته ، وأنه الكتاب الذي أنزل قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً) [٣٦] وانه لتذكرة للمتقين وذكر للعالمين .

ويعد ٍ هاجراً للقرآن من لم يتله حق تلاوته ويرتله حق ترتيله ويؤمن باشتماله على الذكر الإلهيّ -كلّه- وأنّه لا نسخ فيه ولا تبديل يعتريه، وأنّه كلمة الله تمت صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته. وأنَّ كل ما جاء به هو الحق وهو الأحسن تفسيراً، وهو الأقوم في كل شيء. ويعد هاجراً للقرآن من لم يلتزم منهجه ويحل حلاله، ويحرم حرامهويؤمن به ويتَّبع سبيله ويتمسَّك بشرعته ومنهاجه، ويعتصم بسبيله وبحبله. ويعد هاجراً للقرآن من لا يجعله مرجعيّته في كل ما يأخذ وفي كل ما يدع وفي كل ما يحل وفي كل ما يحرم فهو الشرعة وهو المنهاج وهو الكافي الوافي في الأخلاق والسلوك ونظم الحياة وتحقيق العدل والأمانة .

لذلك فهجر القرآن خطيئة كبيرة وخطأ عظيم ما كان لمؤمن ولا مؤمنة أن يقع فيه ، إذا تبين هذا فلا بد من معرفة أنواع الهجر التي ذكرناها سابقاً ، وكيف ننقذ أنفسنا من الوقوع بين أولئك الذين اتخذوا هذا القرآن مهجوراً ؟ .

أسباب هجر القرآن

بعد معرفتنا بأنواع الهجر للقرآن الكريم فانه لابد من معرفة الاسباب التي أدت الى هذا الهجر ، وسنقتصر في المقام على ذكر أهم الأسباب المتعلقة بهذه الأنواع وهي :

١ - التشاغل بالغناء والموسيقى عن سماع القرآن : وهو من أبرز المظاهر التي أدت بكثير من المسلمين الى هجر القرآن ، ويلحق بذلك عكوف الكثير من المسلمين أمام القنوات الفضائية لمشاهدة ما حرم الل تعالى عليهم من ألوان الفسوق والفجور مما يجعل قلوبهم تصد عن استماع القرآن خاصة بعدما عرض الغناء بصورة فاضحة ومزرية ، فكيف لقلوب ترى وتسمع هذه الفضائح والمنكرات أن تقبل على استماع القرآن .

٢ - التشاغل عن استماع القرآن وهو حال كثير من المسلمين حيث يستمعون الى القرآن الكريم وقلوبهم مغلقة وآذانهم صماء فلا يفقهون شيئاً مما يسمعون ولا يعيرونه اهتماماً لأن المعرض لا يسمع حقيقة واذا سمع لا يعي ، فأجسامهم حاضرة وقلوبهم وعقولهم غائبة قد حجبت عن استماع القرآن بأنواع من المعاصي والآثام من هوى أو لهو محرم أو انشغال بالدنيا على حساب الآخرة ولهم نصيب من قوله تعالى (وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم) [37]

وقد انشغل الناس بالدنيا إنشغالاً أدى بهم الى مواصلة الليل بالنهار لسد حاجاتهم الكمالية فضلاً عن الضرورية ، وقلما يجد أحدهم وقتاً يقرأ فيه القرآن أو ستمعه ، فما أن يعود الى منزله يجد نفسه منهكاً جراء لهاثه وراء المصالح الدنيوية ، ويغفل بسبب هذا عن ذكر الله تعالى ، وحسبما قال الامام الخميني في كتاب آداب الصلاة (...... وكلما ازداد تعلقه بالدنيا ومظاهرها ازداد حجاب القلب سمكاً وكثافة حتى يطغى هذا التعلق على القلب ويستحكم سلطان حب الشرف والجاه عليه بحيث ينطفيء نور فطرة الله تماماً وتغلق أبواب السعادة بوجه الانسان ، ولعل الأقفال التي تشير إليها الآية الكريمة (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) [38] يراد بها أغلال وقيود التعلق بالدنيا هذه .....) [39]

٣ - ضعف الهمة وهو من الأمراض التي تكاد تعصف بالكثير منت المسلمين فلا تكاد تجد من يحافظ على القرآن أو يهتم به لضعف الهمة ، فما ان يمسك المصحف يوماً حتى يتركه أياماً ، فربّ أمر من أمور الدنيا تراه يسعى وبكل جدّ لإتمامه على أحسن وجه ، لكن عندما يتعلق الأمر بالقرآن فان الأمر يختلف .

٤ - الجهل بثمرات قراءة القرآن : إن جهل الكثير من أبناء المسلمين بثمرات تلاوة القرآن الكريم وفضائلها من الثواب المترتب على ذلك من المصالح الأخروية فضلاً عن المصالح الدنيوية ، ان الجهل بذلك لمن أكبر الدواعي لهجر التلاوة وعدم الاعتناء بها والحرص عليها .

٥ - تقديم العلوم الأخرى على القرآن : حيث يتشاغل الناس بمختلف العلوم ويتناسون القرآن فيترك الكتاب الكريم والسنة الشريفة ، ويقدموا كلام البشر عليهما ، إذ ان الانسان قد يقرأ كتاباً روائياً أو ديوان شعر لأحد الشعراء فترتفع درجة الحماسة لديه ، أو قد يقرأ كتاب موعظة فتهتز المشاعر ويلين القلب . لكن هل حصل أن يقرأ الإنسان القرآن بالطريقة التي يتفاعل معها بحيث تجري دموعه لبعض ما فيه من آيات العذاب ، أو تنفرج أساريره بالغبطة لما فيه من آيات النعيم .

لا نقصد بذلك ان الانسان لا ينبغي له أن يدرس العلوم الأخرى وان لكل باحث وعالم إختصاصه ، لكن عليهم أولاً أن يتزودوا من القرآن وينهلوا من معينه الذي لا ينضب .

٦ - عدم اهتمام الأسرة بالقرآن وتلاوته ، حيث ان الأبناء عندما يجدوا آبائهم لا يعيروا للقرآن أي أهمية ولا يتعدوه فمن الطبيعي لا يجد الأبناء أي رغبة في تلاوة القرآن وتعلمه ، ومن جانب آخر فان الفتيات يجدن أمهاتهن منهمكات في عمل المنزل ، وما ان تجد فرصة للراحة تقضي أوقاتها لمشاهدة المسلسلات والأفلام ، إضافة إلى إنشغال الجو الأسري في بعض الأحيان بمتابعة القنوات التي تبث الغناء والفساد داخل هذا الجو .

٧ - الطرق الخاطئة المتبعة في المدارس لتعليم أحكام القرآن الكريم من تلاوة وحفظ وتفسير ، حيث يعتبر كدرس ثانوي وان كان يتصدر جدول الامتحانات ووثيقة التخرج . حيث ان الطالب في المراحل الأولى يكلف بحفظ السور القصار وكيفما اتفق من دون تصحيح القراءة أو تعليم لأحكام التلاوة ، فيبقى الطفل على هذه القراءة الخاطئة ولو انها غزيرة بكثرة ما

حفظ من السور القصار . ويتدرج الأمر في المراحل الثانوية حيث يقتطع موضوعاً فرعياً من أحد الموضوعات في أحكام التلاوة كأن يؤخذ مد الصلة من موضوع المد ، إضافة الى حفظ بعض الآيات المتفرقة من بعض السور ولا يركز في هذه المرحلة على كيفية قراءتها ، الى أن يصل الأمر الى الجامعة حيث لكل طالب اختصاصه وما يقع في المشكلة إلا طلبة العلوم الإسلامية ، إذ قدم الكثير من الطلبة الى هذه الدراسات وهم لا يجيدون قراءة سورة الفاتحة ومثلما حصل في قسم علوم القرآن في كلية الآداب حيث ان الطلبة الجدد يقعوا في الأخطاء الجلية فضلاً عن الخفية . وحتى ان البعض يهجر القرآن بإدعاء انه لا يعرف تلاوته . أما بقية الأختصاصات (غير الإسلامية) فانهم قد حلقوا بعيداً عن القرآن وتركوه إلا ما ندر .

٨ ـ الإصرار على الذنوب : إن إصرار العبد على الذنب وارتكابه إياه من أعظم الأسباب التي تحول دون تدبر القرآن وفهم معانيه ، فينبغي لمن تدبر القرآن أن يبتعد عن الذنوب والمعاصي ولا سيما التي لها اتصال مباشر بأدوات ووسائل التدبر وهي القلب والسمع واللسان والبصر ، فانهماك هذه الجوارح في الحرام يعطلها عن تدبر القرآن والانتفاع به ، والله تعالى يقول (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب) [٤٠]

فالأكنة غطاء للقلب تمنعه من فهم القرآن . والوقر غطاء للأذن يمنع من سماع القرآن ، والحجاب غطاء للعين يمنع من رؤية الحق .

دور أعداء الإسلام فى هجراننا للقرآن :

لما لهذا الموضوع من أهمية فقد أفردنا له عنواناً مستقلاً وإلا فهو أحد الأسباب الرئيسية لهجر القرآن .

حيث انه لما عجز أعداء الإسلام من السيطرة على بلاد المسلمين عن طريق الغزو العسكري لجأوا إلى أساليب ملتوية للقضاء على الإسلم والمسلمين عن طريق الغزو الفكري ، وعملوا على إبعاد المسلمين عن كتابهم القرآن الكريم الذي يستمدون منه منهجهم وأسلوب حياتهم .

ونجد ذلك في تصريحاتهم ضد القرآن ولغته حيث وقف جلادستون رئيس وزراء برطانيا الأسبق في مجلس العموم البريطاني في أواخر القرن الماضي يحث قومه على زعزعة الأمة عن دينها فيقول : « ان العقبة الكؤود أمام استقرارنا بمستعمراتنا في بلاد المسلمين هي شيئان ولا بد من القضاء عليهما مهما كلفنا الأمر أولهما هذا الكتاب وسكت قليلاً بينما أشار بيده الأخرى نحو الشرق وقال : هذه الكعبة . » [٤١]

وقال أيضاً « مادام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة علي الشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان » [٤٢]

ويسير المنصرون الذين رافقوا هذه الحملات على نفس المنهج . إذ يقول المنصر وليم جيفورد بالكراف : « متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيداً عن محمد وكتابه ، ولا يمكن أن يتوارى القرآن حتى تتوارى لغته . [٤٣] .

ويلحظ أن جماعة من المستشرقين قد دأبوا منذ زمن حتى عصرنا الحاضر على وصف القرآن بأنه نسيج من السخافات ، وبأن الإسلام مجموعة من البدع ، وبأن المسلمين وحوش ، وكان نموذج ذلك من المستشرقين : « نيكولا دكيز ، وفيفش ، وفراتشي ، وهوتنجز ، ويلياندر ، وبريدو » [٤٤] وغيرهم .

وهذا النوع من المستشرقين قد دفع بالمبشرين الى الغض من مكانة القرآن والاسلام لتقليل أهميتهما وزعزعة النفوس عنهما .

وقد أدعى الكثير من المستشرقين مزاعم كاذبة بحق القرآن ، لكن قد تكفل جملة من المستشرقين المنصفين بالرد على مثل هذه المزاعم لاسيما « السير وليام موير » في كتاب « حياة محمد » فكان ما تحدث فيه عن منزلة القرآن ودقة وصوله سالماً ، خير ردّ على التجني والحقد الأعمى ، واعتبر ذلك تهرباً عن البحث العلمي الرصين .

أساليب الأعداء فى محاربة القرآن ولغته .

اتخذوا في ذلك أساليب شتى منها :

١ ـ السخرية من اللغة العربية ـ لغة القرآن الكريم ـ ومهاجمتها من حين لآخر والدعوة الى اللغة العامية وإحياء اللهجات المحلية ورفع شأن اللغات الأخرى مما أدى الى نشوء جيل من أبناء المسلمين يجهل القراءة في المصحف ولا يكاد يقرأ سطراً صحيحاً على الرغم من حصوله على أعلى الشهادات وإتقانه العديد من اللغات الأخرى .

٢ ـ الإزدراء بحفظة القرآن الكريم والعلماء والدعاة ووصمهم بما ليس فيهم حتى يحال بينهم وبين مجتمعاتهم

٣ ـ إغراق المجتمعات المسلمة بالحشد الهائل من الصحف والمجلات الرخيصة التي تبعد المسلمين عن القرآن وتنشر الفاحشة والرذيلة في الوسط الاجتماعي .

٤ ـ تدمير عقيدة المسلمين وأخلاقهم وذلك من خلال البث المباشر والقنوات الفضائية الماجنة التي تعرض الأفلام المبتذلة الداعرة .

وقد كان لهذه الأساليب الماكرة وغيرها أثر كبير في انشغال المسلمين عن كتاب ربهم بمتابعتهم لهذه القنوات الفضائية وتلك الصحف والمجلات ، فهجروا تلاوته فضلاً عن هجر أحكامه وآدابه والعمل بما فيه .

ونرى كيف انتشرت أجهزة الاتصال (النقال) والتي أصبحت وسيلة للإفساد أكثر مما هي للاتصال ، حيث تعرض فيها الصور الإباحية والأغاني الماجنة واللقطات الساخرة والأمور التافهة ، مما جعل شبابنا ينغمسون في هذه الأهواء ويهجرون دورات تعلم القرآن وحفظه .

وبدأ المخطط بتحويل كتاب الله من قوة حاكمة دافعة للمجتمع إلى مجرد كتاب يحمل ذكريات. تُغير عليه قوى الشر ولا يتحرك المسلمون للدفاع عنه. وتنتشر من حوله الخرافات. وهكذا يصبح القرآن الذي هو حياة الأمة، رمزا للموت فيها، فلا يقرأ إلا في سرادقات العزاء، ولا تكاد تسمع القرآن في مكان حتى تسأل عمن توفى!!! وجعلوا من فاتحة الكتاب - التي هي دستور حياة المسلمين، والتي كان حرص الشارع على قراءتها سبع عشرة مرة على الأقل يوميا في كل ركعة من الصلوات المفروضة - وسيلة لجلب الرحمة على الأموات فقط .

علاج هجر القرآن

السبيل الوحيد للإصلاح والتجديد يبدأ بالخروج من هجران القرآن وإعادة قراءته وتلاوته حق التلاوة وترتيله حق الترتيل وتدبُّره وتحطيم أقفال القلوب به. واستخراج المقاصد القرآنيَّة وقراءته قراءة نبويَّة تتجلى فيها كليّات القرآن ومقاصده وقواعده. واتخاذه المصدر الأعظم لإعادة تشكيل الأمة، ومعالجة مشكلاتها ,وإعادة بناء حياتها فكريّاً وثقافيّاً وعمرانيّاً وحضاريّاً، لأنَّ القرآن بما اشتمل عليه وبأنَّه المحجة البيضاء والنبيّ المقيم والرسول الدائم هو الذي سيقودنا إلى الهدى ودين الحق. ويمكنّنا من إعادة البناء والقيام بمهمة الاستخلاف وتحقيق الوسطيَّة والنهوض بالشهادة على الناس ولابد والحالة هذه من الجمع بين القراءتين :قراءة الوحي القرآنيّ والهدي النبويّ في إتباعه وقراءة الوجود بسننه وقوانينه وآياته -وآنذاك- سوف يرى الإنسان آيات الله البيِّنات في النفس البشريَّة والكيان الاجتماعيّ والبناء الأسريّ ومنهج تجديد حال الأمة وإصلاح شأنها كما سيرى ذلك في سنن الكون وقوانينه.

لذلك يمكن اقتراح بعض الأمور التي تساهم في علاج هجراننا للقرآن الكريم :

١ - إهتمام الأسرة المسلمة بالقرآن : فإن الأم والأب اذا إهتما بقراءة القرآن وعملا به فمن المؤكد ان ذلك سينعكس على أفراد أسرتهما ، أما اذا كان جو الأسرة صاخباً فيه اللهو والسباب والشتم ، فان ذلك يجعلهم بعيدين عن القرآن وهاجرين له ، وكذلك على الأم أن تربط ولدها بالقرآن الكريم وذلك برابطة المحبة والتقديس والاحترام ، وتبين له ان هذا الكلام هو كلام الله تعالى أوحاه الى نبيه الكريم محمد (ص) ، وتعق في قلبه ما يزيد من محبته للقرآن الكريم ، ثم تبدأ بتحفيظه القصير من السور .

وكذلك على الأسرة المسلمة أن تعمق حب أولادهم للمساجد وذلك بتعظيم بيوت الله وحرمتها وتوصيهم باحترام المكان ونظافته . وضرورة التوافد عليها لأداء صلاة الجماعة والمناسبات الدينية التي تقام في المسجد وخاصة الجلسات والدورات القرآنية .

٢ - استخدام السبل التعليمية الصحيحة والوسائل المرغبة في تحفيظ القرآن ، فان الزمان الذي نعيش فيه غير الزمان السابق فلا يفيد أن نحفظهم بواسطة الترديد أو غير ذلك ، بل يمكن استخدام الوسائل الحديثة كالحاسوب وجهاز العرض ، بحيث ان الطالب يرى الآية وكيفية نطقها من قبل القراء المعروفين ويتم توضيح الأحكام من قبل الأستاذ .

وكذلك يمكن زيادة عدد حصص التربية الإسلامية في المدارس الابتدائية والثانوية ولا تكون أسوة بمادة التربية الفنية والرياضية والنشيد ، هذا بالاضافة الى الاهتمام بشرح بسيط وتفسير موجز للقرآن الكريم حتى يؤدي الى تفتح المعاني في قلب وعقل الصغير . مع تخصيص أساتذة أكفاء مختصين ومتفرغين لتعليم القرآن الكريم وأحكامه وتفسيره .

٣ - هجران الذنوب فإن الذنوب تمنع الإنسان من التوجه للقرآن بينما إذا كان مخلصاً لله ومتوجهاً إليه يطيعه ولا يعصيه فحتماً أنه سيتوجه إلى كلام الله تعالى ويعمل به .

٤ - عدم التشاغل عن القرآن بأمور دنيوية سواء كانت محللة أم محرمة ، فإن ذلك يسوقنا تدريجياً الى هجر القرآن الكريم بل علينا أن نخصص وقتاً خاصاً وعدداً معيناً من الصفحات ، أي يكون لنا برنامج يومي لقراءة القرآن .

٥ - وكما علينا أن نتلوا القرآن فانه علينا أن نفهم معاني القرآن حيث تمرّ علينا كلمات عديدة لا نفهم معناها ونمرّ عليها مرور الكرام . وإن سئلنا عن معناها نكون حينئذ حائرين فنرجع الى التفاسير في حينها ، بينما إذا كان القارئ يقرأ القرآن ويفتش عن المعنى في وقته فسوف يكون قارئاً وفاهماً للقرآن ، خاصة انه توجد بعض المصاحف يذكر المعنى على جانب الكتابة ، بل توجد بعض المصاحف يستخلص من كل صفحة موضوعاً معيناً وتذكر الروايات المتعلقة بهذا الموضوع .

٦ - ضرورة تعلم اللغة العربية وقواعدها فالكثير من المسلمين لا يجيدها ويقعون في الأخطاء الجلية فضلاً عن الخفية مع انه نزل بلغة العرب . بينما نجد أناساً آخرين من المسلمين في الدول غير العربية يجيدون بل وتفوقوا في العالم الإسلامي كما تشهد المسابقات القرآنية .

٧ - علينا أن نجعل القرآن يجري في حياتنا كما يجري الماء في النهر والدم في العروق ، وعلينا أن نقرأه

لنعيش روحه وأجواءه وظلاله وأن نجريه في حياتنا ليقودنا الى كل خير وفضيلة .

هذا وان القرآن ذاته نور يهتدي به الانسان الى ربه العظيم ويؤمن به ، قال تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) [٤٥]. ان المطلوب على الانسان الانفتاح على القرآن واستماع آياته بتدبر وتجرد وسيرى ثمرة ذلك بعد حين .

٨ ـ المعرفة بثمرات تعلم القرآن وتعليمه ، وقد اعتبر النبي (ص) تعلمه وتعليمه من علامات المفاضلة بين المسلمين حيث قال : « خياركم من تعلم القرآن وعلمه » واعتبر حملته من أشرف الناس « أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل » وحمل القرآن يعني العمل بما جاء فيه .

وورد عن الامام علي (ع) « ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن أخبركم عنه الا أن فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم ونظم ما بينكم » [٤٦]

فهو كتاب الماضي لأن فيه قصص الأولين وهو كتاب الحاضر لأنه يحكم فيما نختلف فيه ، وهو كتاب المستقبل لأنه يخبرنا بما ستؤول إليه الأمم ، يقول الإمام علي (ع) : « كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحك ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل »

٩ ـ فتح دورات عديدة لتعليم القرآن ولا يكون الغرض منها التحفيظ كيفما اتفق ، أو أن تكون هذه الدورات للإعلام فقط وذلك بأن يقال أن هذه المؤسسة قد قامت بفتح دورات عديدة وتخرج كذا عدد من الطلبة ، لكن عندما تختبرهم تجد أنهم لا يجيدوا قراءة سورة الفاتحة . وانما يجب أن تكون الدورات مكثفة ومدروسة بحيث تشمل أحكام التلاوة وقواعد اللغة العربية مع تفسير يناسب عقول الطلبة .

وكذلك على الجامعات والمعاهد أن تقيم مثل هذه الدورات ولا تتناسى القرآن ، بينما نرى أنه قد أدخلت بعض المواد كالديمقراطية والانكليزية والحاسوب ضمن المنهج الدراسي مع إحساسنا بقيمتها لكن نقول أن تعليم القرآن لم يدخل في المنهج مع إننا مسلمون ومن الواجب علينا معرفة قراءة القرآن الكريم وتدبره.

وفي خاتمة المطاف نرجو من الله سبحانه أن يخرج المسلمون من حالة هجرهم للقرآن الكريم إلى حالة تعهده والعمل به ، وعند ذلك يمكن لنا أن نفتخر بكوننا مسلمين حقاً . والحمد لله رب العالمين .

فهرست الهوامش

١. بحار الأنوار ج١٠٨ ص٢٥
٢. الفرقان ٣٠
٣. النور ٥٥
٤. الحج ٤١
٥. الأعراف ١٧٢
٦. البقرة ٣٠
٧. الأحزاب ٧٢
٨. الملك ٢
٩. الجاثية ٢٢
١٠ . صحيح البخاري ـ كتاب التوحيد ٤ / ٢٣٦٣
١١ . بحار الأنوار ج٨٩ ص٢٠
١٢ . صحيح مسلم ١ / ٥٣٩ ح ٧٨٠
١٣ . عقاب الأعمال ص٣٣٢ ـ ٣٤٦ مقاطع منه
١٤ . لسان العرب ١٥ / ٣١ ـ ٣٢
١٥ . تاج العروس لمحمد الزبيدي
١٦ . معجم مقاييس اللغة ٢ / ٦٠٠
١٧ . صحاح الجوهري ج٢
١٨. لسان العرب ج٥
١٩ . المزمل ١٠
٢١ . مجمع البحرين للطريحي ج٤
٢٢ . جوامع الجامع ج٢ ص٦٥٠ للشيخ الطبرسي
٢٣ . المؤمنون ٦٧
٢٤. تفسير الطبري ١٨ / ٤١
٢٥. تفسير الطبري ١٨ / ٤٠
٢٦. العنكبوت ٢٦
٢٧. تفسير القرطبي ٣ / ٣٣٩
٢٨ . التحرير والتنوير ٢٩ / ٢٥٠
٢٩ . تفسير مجمع البيان ج٧ ص٢٣٩
٣٠ . الأعراف ١٦٩
٣١ . تفسير القرطبي ج٧ ص٣١١
٣٢ . الفوائد ١٢٣ ـ ١٢٤
٣٣ . محاضرات في الدين والاجتماع للشيخ المطهري ص ١٦٥
٣٤ . الزمر ٢٣
٣٥. العنكبوت ٥١
٣٦ . الفرقان ٦
٣٧ . لقمان ٧
٣٨ . محمد ٢٤
٣٩ . آداب الصلاة للإمام الخميني ص٢٩٤
٤٠ . فصلت ٥

٤١ . الحركات النسائية في الشرق محمد فهمي عبد الوهاب ص٧

٤٢ . الإسلام على مفترق الطرق / محمد أسد ص٣٩

٤٣ . جذور البلاء عبدالله التل ص٤٢

٤٤ . التعبير الفني في القرآن ، بكري أمين ص١٨

٤٥ . المائدة ١٥ ـ ١٦

٤٦ . نهج البلاغة للإمام علي ع خطب الإمام صفحة ٥٤

فهرست المصادر

١ . القرآن الكريم

٢ . آداب الصلاة ـ روح الله الموسوي الخميني مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني الطبعة الثالثة ٢٠٠٢ طهران

٣ . الإسلام على مفترق الطرق محمد أسد ترجمة عمر فروخ دار العلم للملايين بيروت الطبعة الثامنة ١٩٧٤

٤ . بحوث في القرآن الكريم . محمد تقي المدرسي، الناشر :انتشارات محبان الحسين ط٤ ١٤٢٦ هـ قم

٥ . بحار الأنوار محمد بالقر المجلسي مؤسسة الوفاء بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٣

٦ . تاج العروس من جواهر القموس محمد مرتضى الحسيني الزبيدي دار الهداية

٧ . التحرير والتنوير محمد بالطاهر بن عاشور مؤسسة التاريخ بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٠

٨ . التعبير الفني في القرآن د . بكري أمين دار الشروق بيروت ١٩٧٢

٩ . تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي دار الحديث القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٥

١٠ . تفسير الطبري جامع البيان عن وجوه تأويل القرآن محمد بن جرير الطبري دار الفكر بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠

١١ . جوامع الجامع الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي تحقيق مؤسسة النشر الأعلمي جماعة المدرسين في قم الطبعة الأولى ١٤١٨

١٢ . جذور البلاء عبدالله التل المكتب الاسلامي بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٨

١٣ . الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالاستعمار والصهيونية العالمية محمد فهمي عبد الوهاب دار الاعتصام القاهرة ١٩٧٩

١٤ . دراسات قرآنية . المستشرقون والدراسات القرآنية محمد حسين الصغير ط٢ مكتب الاعلام الإسلامي ١٤١٣

١٥ . الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية اسماعيل بن حماد الجوهري الطبعة الرابعة ١٤٠٧ دار العلم للملايين

١٦ . صحيح البخاري محمد بن اسماعيل البخاري دار الفكر بيروت

١٧ . صحيح مسلم / مسلم بن حجاج القشيري دار الحديث القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٢

١٨ . عقاب الأعمال الشيخ الصدوق الطبعة الثانية مطبعة أمير قم ١٣٦٨ منشورات المرتضى

١٩ . الفوائد محمد بن قيم الجوزية مكتبة دار البيان دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٧

٢٠ . كيف نتعارف مع القرآن / كراس لمؤسسة البلاغ الطبعة الأولى ٢٠٠٢ طهران لجنة التأليف

٢١ . لسان العرب محمد بن مكرم بن منظور دار بيروت ١٣٨٨

٢٢ . مجمع البحرين الشيخ فخر الدين الطريحي الطبعة الثانية ١٤٠٨ الناشرمكتب نشر الثقافة الإسلامية

٢٣ . مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي الناشر مؤسسة الأعلمي بيروت الطبعة الأولى ١٤١٥

٢٤ . معجم مقاييس اللغة أحمد بن فارس بن زكريا الرازي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٠

٢٥ . محاضرات في الدين والاجتماع مرتضى المطهري الناشر مدين الطبعة الأولى ٢٠٠٧ مطبعة قلم / قم

٢٦ . نهج البلاغة للإمام علي ع دار المعرفة بيروت تحقيق محمد عبده

Related Articles

http://thiqaruni.org/arab3/97.pdf
http://thiqaruni.org/arab6/88.pdf
http://thiqaruni.org/arabic/17.pdf
http://thiqaruni.org/arabic/103.pdf
http://thiqaruni.org/arabic/18.pdf